والليلة عيد ميلادك ــ الثالث عشر من أيار ــ وانت تريد مناسبة لانتزاع المرح الكاذب من جهة الايام الصادقة . تدعو أصدقاءك .. تتآمرون على الكآبة بالكأس والموسيقى والنكات الجارحة . يرتفع صوت الموسيقى وترقصون . تصل ضحكات الفتيات الى نوافذ الجيران . وفي منتصف الليل يأتي البوليس . يتحقق مـــن هويات الحاضرين ويهددك بالاعتقال : كونوا مهذبين . كفى بربرية ! تسأل عن السبب فيقول لك ان الجيران قد استدعوه ليحافظ على هدوء البناية من مرحنا . تقول له : عيد ميلاد . يقول : لا يعنيني.

ويا أيها الجيران الطيبون ! لماذا لم تنبهوني الى أن فرحي يؤلمكم ؟ لماذا تنهمر موسيقاكم المأخوذة من لحمي على نوافذي كل ليلة ، ولا أحتج . متى تخرجون مـــن حلقي أيها الجيران ، متى ؟.

وحين تأوي الى الفراش لتنام ، تقتنع بأن الجيران كانوا على حق . في الصباح تعتذر لهم قائلا : لا يحق لي أن أحتفل ما دمت جاركم . سامحوني أيها الجيران ، فقد تبت عن الاحتفال .

[١٥]

● تريد أن تستأجر شقة ؟

تقرأ ابواب الاعلانات في الجرائد . وتقفز الى التليفون : سيدتي .. قرأت اعـــلانا عن شقتك ، هل لي أن أراها ؟

تصل اليك ضحكتها وسعادتها فتمتلىء بالامل : الشقة ممتازة يا سيدي ، على الكرمل . تعال واحجزها فورا .

تنسى أن تدفع ثمن المكالمة التليفونية ، وتسرع اليها . تعجب بك السيدة ، وتتفق معها على شروط الدفع وميعاد تسلم المفتاح . وحين تجلس لتوقع على العقد تنزل الصاعقة على رأس السيدة : ماذا عربي ؟. عفوا يا سيد .. اتصل غدا !

تتكرر القصة عدة أسابيع . وفي كل مرة تعود خائبا تقرأ شرفات المنازل ، تقرأ تـــاريخ المنازل ، وتسأل عن اصحابها الغائبين في رياح الهجرة والمنافي . كم من بيت بناه صاحبه ولم يسكنه . ان أصحاب هذه المنازل ما زالوا يحتفظون بمفاتيحها في جيوبهم وقلوبهم في انتظار العودة . العودة الى أين ؟ لو عاد احدهم الى منزله فهل يسمح لـــه باستعمال مفتاحه ؟ أو هل بوسعه ان يستأجر غرفة واحدة في بيته . ويقولون لك : « ان الصهيونية لم ترتكب اثما . كل ما في الامر انها أحضرت شعبا بلا وطن الى وطـــن بلا شعب » . وتسألهم عمن بنى هذه البيوت . أية شياطين بنتها للاساطير !. عندها ينصرفون عنك وينجبون مزيدا من الاطفال في بيوت مسروقة .

[١٦]

● تريد أن تزور أمك في العيد ؟

من شهور طويلة لم تزر امك وأباك واخوتك في قرية لا تبعد عنـــك اكثر من ساعة . تجتهد في اختيار الكلمات التي تتضمنها رسالتك الى البوليس هذه المرة . تكتب : « أتمنى أن تأخذوا بعين الاعتبار المشاعر الانسانية الخالصة التي آمل الا تروا فيها ، هذه المرة، تصادما مع حرصكم الشديد على صيانة متطلبات أمن الـــدولة ومقتضيات الدفاع عن سلامة الجمهور . وأرجو ، بموافقتكـــم المنشودة على اصـــدار تصريح لزيارة أهلي في